مُناقشات

تزييف الواقع ..

بقلم عبده سعيد الهيثمي

تحت عنوان « تزييف الواقع » في معرض « النشاط الثقافي في الوطن العربي » نشرت الاداب في عدد آب الماضي مقالا مستفيضا حول الشعر اليمني الحديث بامضاء محمد الزرقة . ويهمني من هذا المقال ما ذكره الكاتب بالحرف الواحد قائلا « وفي الجنوب (يعني جنوب اليمن المحتل) ظهر خلال هذه الفترة شعراء تخلوا عن الشعب .. على الرغم من ان شعبنا العربي في الجنوب اليمني يعاني محنة مزدوجة ابرزها الاحتلال الانكليزي ومؤامرات القصر الامامي مع الحاكم الانكليزي في عدن .. ومشاكل التعدين واضطهاد العمال من ابناء اليمن العربي .. وهذا كله لم يلهب لطفي جعفر أمان بقصيدة واحدة .. ولا تألم لصوت السياط يلسع جلود المناضلين الشرفاء .. بل عاش لنفسه يتغنى بنفسه في كل دواوينه الثلاثة ... »

ان مجلة « الآداب » الذائعة تنشر على جبين التاريخ هذا الاتهام الجائر في وطنية لطفي جعفر أمان ابرز شعراء الجنوب اليمني المحتل.. واتهام انسان شريف في وطنيته أشد ايلاما له من الحكم على حياته بالاعدام وهو بريء .. لذلك فان الضمير الادبي الحي هو الذي استفزني لاقف في وجه هذا الاتهام المجحف واسند فجر الحقيقة بأعمدة من نور.. حتى لا يتسخ ثوب التاريخ النظيف الذي تتزين به « الآداب » كل شهر امام العالم العربي بأسره .. بأدبائه ومؤرخي آدابه .. واساتذته وتلاميذه ..

ان كل من عرف لطفي امان عن كثب او صافحه في دواوينه واشعاره التي ينشرها في الصحف يحترم قداسة الوطنية التي تلتهب في هذا الشاعر الذي فرد جناحيه عبر حدود المحلية الضيقة لا سيما في ديوانه الاخير « الدرب الاخضر » .

والناقد الزرقة لم يقرأ قصيدة لطفي « يا بلادي .. يا بلاد العرب» وهي صيحة قوية تشد بلاده كلها دفعة طافرة الى الامام :

اقفزي من ذروة الطود لاعلى الشهب
وادفعي في موكب النور مطايا السحب
واستقلي كوكبا يزهو بأسنى موكب
فلقد حطمت اصنام الدجى المنتحب
ولقد مزقت عن نفسي كثيف الحجب
وهوى « البرج » على اوهامه والكذب
وانبرت بي في المدى اجنحة من لهب
تزرع الاضواء في جفن الليالي المتعب
وتنيل الجدب من شؤبوبها المنسكب

شاعر كهذا يمزق عن نفسه الحجب .. ويتمرد على برجه العاجي ليخرج امام شعبه باجنحة من نور .. من لهب تكتسح الظلام وتزرع الاضواء وتمد الجدب بالسقي والعطاء .. يقول عنه الزرقة بأنه يتغنى لنفسه بنفسه !!

يا بلادي لم أعد اسطورة في الكتب
لم اعد من ألف (ليلة) ليلة من عجب
لم أعد انقاض مجد في ضمير الحقب
لم أعد طيف خيال بالرؤى مختضب
أو أنينا راعف الجرح بصدر مجدب
او نشيدا مخجلا .. يضحك منه الاجنبي
أشرق المسعى .. فللنور شذا من مطلبي
والسنا يغمر أرضي .. وطريقي الذهبي

هذا هو لطفي .. المتجسد في شخصية عربي اليوم الذي يتهيأ للساعات المقبلة بقوة وعمل وايمان وكرامة عالية .. لا اسطورة .. ولا خرافة من الف ليلة وليلة ولا انعزالية نادبة منتحبة .. وانما انطلاقة جماهيرية في طريق ذهبي يغمره الضياء .... ثم يأتي السيد الزرقة مقتحما حرمة « الآداب » معلنا على رؤوس الملأ بان لطفي جعفر أمان لم يلتهب بقصيدة وطنية واحدة وانما عاش منغلقا على نفسه يتغنى لنفسه بنفسه .. في كل دواوينه ..

ثم ما هو هدفنا الاكبر في هذا المعترك المحتدم الذي يخوضه اليوم كل عربي شريف ؟ الوحدة الكبرى تحت راية القومية العربية السامقة .. أليس كذلك ؟. هذه الوحدة يتغنى بها لطفي ابتداء من « شمسان » اعلى جبل في بلاده حتى المحيط :

يا بلادي .. كلما ابصرت شمسان الابي
شاهقا في كبرياء حرة لم تغلب
صحت : يا للمجد في اسمى معالي الرتب
يا لصنعاء انتفاضات صدى في يثرب
يا لبغداد التي تهفو لنجوى حلب
يا لارض القدس يحمي قدسها الف نبي
يا لاوراس لظى في ليبيا والمغرب
يا لنهر النيل يروي كل قلب عربي
فاملئي كأسك من فيض دمائي واشربي
يا بلادي .. يا بلادي .. يا بلاد العرب !.

وهذا هو لطفي الذي يقول :

انا لست وهما شريد الخيال
ولا أنة في صحاري الليالي
ولا دمعة في جفون النجوم
ولا حلما في الغيوم

* * *

.. سأزرع في ضفة المستحيل
سعادة جيل .. وآمال جيل
أجل أنا هذا طريق ونجم
ومن خطوتي ينجلي كل نبت وينمو ..

ويقف لطفي امام صهاريج عدن .. التاريخية الخالدة ذات الاعجاز متغنيا بأمجاد الاجداد بافتخار :

هنا .. هنا
في هذه الاسداد من ارضنا
يدفق بالامجاد تاريخنا
فتغسل الاضواء آفاقنا
وكلنا
معزوفة خضراء عن مجدنا
تشدو بها فوق مثاني السنا
قلوبنا .. احساسنا .. وعينا
بأننا
في حقبة غراء من دهرنا
غزت جبين الشمس هاماتنا

ولكن لطفي لا يقنع بهذا التغني الخصب بامجاد الماضي .. انما هو يلتفت الى الحاضر المتجمد لينفث فيه الحركة والضوء والحياة متخذا من قاعدة الماضي المتينة دعائم ينبسط عليها صرح المستقبل الكبير فيهتف :

يا جيلنا
كم يبهر الاعجاز هذا البنا

مـآثـــر المـاضـــي وأمجـادنـــا
بكبريـاء الشمـــس تزهـــو بنـــا
فلننفـــض الاحـلام عـــن جفننـــا
ولنحـرق الافيـون فـــي حقلنـــا
ولندفـع الموكـــب حـــرا بنـــا
ولنشرب الآمـــال مـــن عزمنـــا
ولنـزرع الاضـــواء فـــي دربنـــا
لاننـــا
نؤمـــن ان النـــور مـــن حقنـــا

.. بهذا الاسلوب الغني الوحي يمتد لطفي عبر الآماد البعيدة فـوق مستوى الاحداث الطارئة .. انه يفتعل بالحدث الوطني ولكنه لا يصفه كما هو سطحيا .. انشائيا .. تقريريا .. وانما يعيش تجربته ليخلق منه آفاقا منداحة عبر النفس .. وهذه هي الشاعرية الخصبة في مجال الانفعال الوطني القومي .

ثم هذه القصيدة بعنوان « الشرق الجديد » ان بضعة ابيـــات استشهد بها هنا قد تفقدها رونقها وتسلبها وحدتها القصصية المتناسقة ... لنستمع اليه ..

أمي .. أجل هذي التي انحدرت مـــن الشرق القديم
اليوم تصرخ في الشبيبة .. حين جار علـــى الديار
المجرمون .. اللاحقـــون بأرضنا المـــوت الدمـــار
المشعلون حقولنـــا الخضراء فـــي وهـــج ونـــار
امـــي تزمـــزم كالريـــاح
ألعار .. لو وطنـــي يبـــاح
وتهيب بـــي : قتلوا أبـــاك
أسروا أخـــاك
ألثأر يـــا ابني افق .. ألثـــار ليس لـــه سواك
وافيـــق تزجيني مـــع الاحرار غايـات شريفـــة
واظـــل تدفعنـــي بطولتهـــا كمنطلـق القذيفـــة

الى ان يقول :

لا يا صديقي
الشرق ليس كمـــا ترى بلـــد الاساطير العجيبه
بلـد الحكايـات الانيسة .. والخرافات الغريبـــة
بلد القصور الناضحات رغائـــب النفس الرطيبه
الشرق هذا لـــم يعـــد عبدا لاوهـــام مريبـــه
الشرق قد اضحى حقيقه
ويشـق وثـابـا طريقـه
ويمد عبر غـــد الـــى الاجيال مؤتلقـــا شروقـه

وبعد هذا يقول السيد الزرقة : لطفي يتغنى لنفسه بنفسه ! خـذ قصيدته بعنوان « طفل متسول » وهو يصرخ بوطنيته التي انكرتها انـت عليه :

لا يا صغيري
خيرات ارضي لم تكن ابـــدا قليله
لكـن يقـال باننـــا شعـب فقيـر
شعب من الاسمال والاطلال والخبز الحقير
لا يا صغيري
أنـا لا اريـــدك ان تكـــون
رمـزا لمـاضينـا اللعـين
فلانت يـــا طفلـــي الصغير
وطنـي الكبيـــر
وطنـي بـأوسـع منتهـــاه
وطنـي المقدس فـي كرامتـه
وعـــزة كبريـــاه ...!

اريد ان أسأل الناقد عن معنى الوطنية كما يفهمها .. هل هـــي ابيات تقريرية ؟ خطب منبرية ؟ تغن بحمل المهنـــد الصارم المسلول ؟ مظاهرات ينبري لها الشاعر وهو خلف الجدران هاتفا :

يا شباب اليوم هبوا للقتال .؟؟
اني لاسخر من هتاف اخـــي يصيـــح لينتقـــم
« انا بنو العرب الالـــى سادوا العواصم والامـــم
بالسمهـري .. وبالقنا .. بالجحفل اللجب الخضم
سخريتي قولـي معـــي : بالسمهري وبالقنـــا
بخرافـة بلهـــاء يهتف شعبهـــا : انـــا هنـــا
الـــخ ....
هـــذا اخـي يسترهم الماضي ويصـــدح بالغنـــاء
وانـا انـام علـى طـوى وأمـام عيني الفـــداء
وأئن موهـون القـوى ... وأمـام عيني الـــدواء
واسير ذلا عاريـــا .. وأمـــام عينـــي الكساء

هذا هو اليمني المظلوم في عهد الامامة الفاجرة .. الزائلة الـــى الابد .. ولكن لطفي لا يكفر بالامل :

لمـــا يفيق اخـــي وينفض سكرة الحلـــم المطيف
لمـــا يبـدد كوخنـا المنبـــوذ اعصـــار عنيـــف
لمـا نجازف فـي الظـــلام .. ونقحم الدرب المخيف
ويـدي تشد علـى يديـه فـي ارتعاشات السكـون
قلـــبين موتوريـــن يجتاحـــان أسوار المنـــون
سنراك تزحف في قواك .. فلا نبالي مـــن تكون ؟.
الـــخ .....

هذا هو لطفي الذي تنبأ بثورة الجمهورية اليمنية الظافرة .. في عنفوان الامامة الفاجرة .. الزائلة الى الابد .. وبعد هذا يأتي الزرقة وفي يده حفنة من وحل يقذف بها في وطنية هذا الشاعر معلنا هكذا : « وهذا كله لم يلهب لطفي جعفر أمان بقصيدة واحدة .. ولا تألم لصوت السوط يلسع جلود المناضلين الشرفاء .. » كأنه لم يقرأ قصيدتـــه « اقطاع » وهو يتألم لصوت السوط وهو يلسع جلود المناضلين الشرفاء :

احسبتنـــي حجـــرا فتجلدنـــــي
وتذلنـي شرفـــا بـــلا ثمـــن ؟
وتبيحنـــي للشمـــس عاريـــة
يصلى الحديد بهـا علـى بدنـــي
سوط .؟ وشمس ؟ وانتهـــاك دم
وبـــراءة مخنوقـــة الشجـــن ؟!
مـاذا جنيت ؟ اقـــول ذا سكنـــي
فتشدني بالقيد فـــي سكنـــي ؟
واصيـــح : اولادي .! فتنـــزعهـم
منـي .. وتنكر فيهـم سحنـــي
وتريدني عبـــدا بـــلا وطـــن
عبـدا !! غريب الدار فـــي وطني ؟؟

ولكن لطفي لا يرضى بهذه العبودية التي تصطلي بها ظهور المناضلين الشرفاء فيصرخ :

يتبـرأ الاســلام منـــك ومـــن
ملـــك بـــلا شـــرع ولا سنـــن
يـــا جيفـــة مطليـــة ذهبـــا
مـن تربتـي انتزعتـــه كف دنـــي
مهـلا .. فـان الريـح تجمع بـــي
اعصارهـا مـوتـــورة الزمـــن
سترى دموعـي كيـف اصنعهـا
حممـــا تطيـح بعرشـــك النتـــن
ستعـود لـــي ارضـــي وأولادي
وتعـود أنـــت لجحـرك العفـــن .

هكذا تنبأ لطفي بثورة الجمهوريـــة المنتصرة وانحسار الامامـــة المتخاذلة الى جحرها العفن ..

هل تريد مزيدا من الادلة والبراهين ؟ هل قرأت للطفي قصيدتـــه

« سانتقم » التي يثور فيها مع انبياء الفكر المعذبين في السجون والتي يختتمها بهذه الصرخة الحادة :

بحـق الوطن
بهذا القسم
اخي قـــد نذرت الكفاح العنيد
لهذا الوطن
الـــى ان ارى اخوتـــي الانبيـاء
وهم طلقاء
يقولون : ما مات حتى انتقـــم !.

هل قرأت للطفي ايها الناقد قصائده الثائرة .. « الدكتاتور » .. « عمان » .. « بلا مأوى » .. « غريـــب » ... « سانتقـــم » .. « ليل .. الى متى ؟ » « النور الخالد » .. « انا حامي الضمير » وغير ذلك كثير .. كثير .؟

هل قرأت له قصيدته المشهورة في جمال عبد الناصر والتـــي يختتمها بهذه الابيات الرائعة :

اسمك الحافل بالاجيال فـــي صحـــو ووثب
اسمك الدافق بالآمـال فـــي خصب ورحب
اسمك المختـــال بالتاريخ فـــي اروع ركب
ابدا يدوي ويدوي ثائرا فـــي كـــل قلب
يـا جمال !.
كلما يامح طفلـــي بافتخـــار صورتـــك
ينتضي ساعده هـــزا .. يحاكـــي قبضتك
هاتفا : « عاش جمال !. » عشت تبنـــي امتك
هكـذا كـــل الملايـين تحيـــي طلعتـــك
يا جمـال .!

وبعد كل هذا ماذا نقول للزرقة سوى ان يحترم حرمة الصحافة .. حرمة « الآداب » وآداب العلم وقداسته قبل ان يلقي بالاتهامات الجائرة في حق الشعراء الوطنيين الشرفاء .

وشكرا جزيلا « للآداب » التي فتحت لنا صدرها الرحيب محكمة للعدل والانصاف .

عدن — عبده سعيد الهيثمي

رد على ناقد

بقلم نديم خشفة

لا اريد ان اتهم بافتعال الضجة حول قصة لا تستحق اكثر ممـــا قيل عنها ، ولكن لا يمكن للمرء ان يسكت عن سوء الفهم ، وخطأ فـــي التحليل ، و « ثورية » فـــي انتقاء الالفـاظ والرجم بهـا . ولعل الصيف هو المسؤول عن هذا العنف الذي يتحكم في اعصاب النقاد ويدفعهم الـى اتهام من يكتب « بالاعتساف ، والبهلوانية ، والرومانسية المفتعلـــة ، والاسفاف والابتذالية ، والافتئات ، وتزييف الاحداث التي يرفضها الواقع الحياتي الخام » او المعقم .. ولا تستطيع ان تكتب سطرين هذه الايام ، دون ان يبزغ لك ناقد يرميك « بالتهافت الذريع على الالفاظ الناشزة التي تفتال اي ايحاء ايجابي » وذلك دون ان يقدم بين يدي اتهامه اي دليل لا يكون عن حر الصيف مسؤولا .

ثم ينسى النصيحة التي تصدق بها علينا : « حتى الكلمـات يجب ان يصطفيها بدقة وحذر » وكأن الاصطفاء هذا شرط لا يخضع له النقـاد كما يخضع الكتاب . ولن اتحدث عن الاسلوب الساخر الذي لخص بـــه حوادث القصة حتى يتاح له في النهاية ان يقول « لقد رأينا تهافت البناء فيها » ونحن لم نر الا تشويها لبنائها ... وانما يهمني ان انير لـــه ما اظلم عليه من نفوس العامة الذين تصفهم قصة (الطائر الابيض) :

١ ــ ينكر على صاحب حمام ان يحرق هرا لانه سرق له طيـــرا ويتهم من يدعي ذلك بالاعتساف والافتعال ، ولو تجاوزنا واقع الحيـــاة الى نتاج الفكر العالمي ، لرأينا « سمير دياكوف » في قصة « الاخـــوة كرامازوف » يجد لذة خاصة في شنق القطط ودفنها باحتفال مهيب .

٢ ــ ثم لا يفطن الى ان وصف الطير بانه « تحرسه الملائكة » شـــيء طرأ على فكر البطل العامي وهو يعتقده ، لان العقلية الشعبية تؤمـــن بحياطة الملائكة للناس والاشياء ، فهي تعتقد مثلا : ان المائدة تحملهـــا الملائكة ، والعين تحرسها الملائكة ، والدين نفسه ــ بغض الطرف عـــن اي تأويل ــ يعترف بوجود الملائكة وقدرتها على التصرف في مصائر الناس .

٣ ــ ويريدنا ان نرى « الاسفاف والابتذالية » واضحتين لان رجـلا ما دفع بعض المال ليفتدي به طيرا قد فقده ، وكان صاحب الحمام يؤمـن بالحق الشرعي او الحق العرفي ، وينسى ان شهادته لم تكن تقبل فـــي العصور العباسية لسقوط الهمة وانعدام المروءة .

٤ ــ ولعل السيد محمود قد اتي من قبل المنطق والولع بالحكمة ، فاضحكه ــ واخشى ان يذيب ذلك شحم بطنه ــ أن الشمس يروعهـــا غيب لا تدرك ما وراءه ، وان النور يبني اعشاشه في زوايا الظل ، فـــلا يحب ان يعترف بغير التشابيه التي رسمها المنفلوطي ودرج عليها مقلدوه . ثم يريدنا ان نمسك بميزان الحرارة في يدنا ونعرف درجة الجو قبل ان نكتب اي قصة والا انطبق علينا المثل العامي « حر وبرد على فرد سطح» فهو ينكر على الرجل ان يحس بدفء الشمس في عروقه كما يكـره لـــه ان يزهر الشوق في صدره . ولو اتاح لنفسه بعض الخيال الذي يطالبنا به ، لاستطاع ان يدرك ما يراد دون ان (نتصور) في كل لحظة ..

٥ ــ ثم يدفعه ولو بالتعميم ــ الذي انكره علينا ــ الـــى ان يصف الكلمات (كلها) بأنها : « نهب الثرثرة الخامية التي لا طائل تحتهـــا والتشتت والتعميم وضعف التراكيب الاسلوبية .. » اما ذكر المسجونين الذين صنعوا القبعة فهو ضرورة يوجبها ان لهم فنا خاصا فـــي صنـــع الاشياء وتلوينها ، ولو زار معرض دمشق لرأى جناحا مقصورا على هـــذا الفن وهو يعترف بفضلهم ... ثم ينصح لي بالاصطفاء ويأبـــى الا ان اصف له كل ما هب من الطيور ودب ، فأذكر ابيض الصدر واسود الذنب ولا انسى ان اقول ايضا : « مفستق طوق (لازوردي) كلكل » .

وعلى الرغم من انه يسكن القدس فهو ينسى ان الراية لا تسلـــم الا لمن عرفت شجاعته واشتهر بثباته .

٦ ــ ويقول : مخينما يطير في الجو يتمنى عمر بطل بهلوانيـــة ان « ينبت له جناح مكان يديه هاتين » ... تصوروا ، جناح واحد ليحلق به . ثم يتبع ذلك بـ « ما شاء الله » التي تؤكد استغرابه وتمـــرس دهشته من العين . وقديما قال البحتري :

« والشمس تلمع في جناح الطائر »

فلعل الناقد يطالب البحتري ايضا بالجناح الباقي عليه الى الان .. ولو رجع الى اول معجم تقع عليه يده لكفانا مؤونة البحث اللغـــوي ولعرف ان (جلب) تتعدى بـ (الى) فلا يقول بعدها : (جلب هـــذه الطيور في سوق الجمعة) فليكف عن اتهامنا بضعف التراكيب الاسلوبية، وليذكر ــ ولو رمينا بالرومانسية ــ قول الاول :

اذا فعل الفتى ما عنه ينهى — فمن جهتين لا جهة اساء

اذا اراد ان يثبت لنا انه يحسن السير على حبل مشدود فقد فعل. اما اذا شاء ان ينقد .. فلا املك له غير الشكر . وليس النقد ان تنسب الى ما تقرأ الشر وتحرمه من كل خير ، وانما هو ذكر المحاسن والمساوىء بنزاهة تتمرد على الغيظ ، وتتجرد عن الهوى .. ولن اقول اكثر مـــن ذلك لانني المح الدكتور سهيل يسأل عن المقص بعد ان عد السطور .

نديم خشفة